

ابن شرعي للنظام الجزائري يبشر بتغييره

علي بن فليس

رجل الهزائم المتكررة



● بن فليس منتوج أصيل للنظام الجزائري، بقي تحت مظلة طيلة سنوات، ولحظة فكر في التمرد أو الخروج عليه أو غيرها من التسميات التي تصف تلك اللحظة، عزله وحاصره وسحب منه أدوات القوة والحضور والفعل.

● بن فليس منتوج أصيل للنظام الجزائري، بقي تحت مظلة طيلة سنوات، ولحظة فكر في التمرد أو الخروج عليه أو غيرها من التسميات التي تصف تلك اللحظة، عزله وحاصره وسحب منه أدوات القوة والحضور والفعل.

والتقدير. ولكنه في لحظة زمنية فاصلة، بين هذا وذاك، عرف أن مصيره سيقوده إلى معتزك نضالي مسموحا فيه كل شيء. حاول أن ينقل القيم التي تربى عليها إلى جسد السياسة الموشوم باللحظة بتجرعان كاسها العميق المترع بالمرارة والصمت.

مضروبا عليها بالحديد وملفها يراوح المكان بين أروقة العدالة، فضيحة هزت قلب الحكم وزيرا للعدل، ومديرا لديوان بوتفليقة، ورئيسا للحكومة، وأميناً عاماً للحزب "الأفلاق" الجائم على صدر الدولة منذ الاستقلال ومهيماً عليها.

وفي عهد طار "الفتى النذبي" مؤمن خليفة الذي قدمت له حكومة بن فليس عام 2001 كل التسهيلات، وفتحت له أبواب البنوك والمؤسسات الاقتصادية الكبرى، بنى على أنقاضها إمبراطورية ضخمة خرافية هلل له الكل ووصفت بالقوة الهائلة نحو العيش الرغد والكريم. طار في السماء محاطاً بالذهب والإعلاميين الكبار والفنانين العالميين ورجال السياسة والنفوذ، ولم ينزل إلى الأرض إلا بفضيحة سميت "فضيحة القرن" ما زالت تفاصيلها للعدالة، أعده بمعية خبراء من أمريكا وصانع قراراتها الخارجية، وقد تكاثف ودعم الرفض بقوة وزير الداخلية آنذاك يزيد زروني، وتم سحب القانون حسبما يشاع بناء على رغبة الرئيس الفنزويلي هوغو تشافيز في إحدى الزيارات الرسمية التي قادته إلى الجزائر حيث انفرد رئيس الحكومة بن فليس به وطلب منه الضغط على بوتفليقة من أجل أن يلغي القانون وهو ما تم.

بالمقابل يقول آخرون إن الخلاف جاء بعد أن أحس بوتفليقة أن بن فليس طعن في الظهر، وهو الذي فتح له أبواب القصر، واحتضنه، وعلمه أصول السياسة وإدارة المواقف هنا وهناك، ومنحه فرص التقرب من صنع القرار وأطلعته على الكثير من الأسرار والخفايا المتعلقة بالنظام، فقاد حركة أو تمرد في الخفاء بإيعاز من جناح قوي داخل المؤسسة العسكرية، فترشح مرتين ضد، ولكنه انهزم أمام قوى الأمر الواقع المدعومة بقوة المال والمكر والمؤامرات والدسائس، وتلك هي فنون الحرب التي يصلح فيها كل شيء من حيث التمويع واللحظة السانحة والحسابات الصحيحة والتي لم يحسن بن فليس النظر إليها وتقييمها والعمل والتحرك على ضوئها.

مآفة المصير

ربما كان قدر بن فليس ابن الـ75 سنة المولود بمنطقة الأوراس حاضنة الثورة الجزائرية، ابناً لشوار حاربوا وسقطوا شهداء إما تحت التعذيب أو عن طريق الإعدام، ولم يعرف إلى الآن مصير والده المخطوف من طرف المستعمر الفرنسي، ربما كان قدره مرتبطاً بهذه المنطقة التي احتضنت عائلته وغرست فيه جذور الشهامة والصدق والوفاء والتربية والسلوك الأخلاقي الذي يراعي الاحترام

من مناصبه ومسانديه لكي يبني لهم بيتاً يحميهم من اللف والدوران والنيه فلا يعرفون هل هم مع جبهة التحرير الوطني العتيقة بما أن بن فليس ابنها بالقوة والفعل أم هم أبناء ضالون لا يعرفون أين يضعون قلوبهم وعقولهم ونضالاتهم وهم يرون بن فليس يتجرع هزيمة وراء هزيمة، فأسس لهم حزب الطلائع الذي يقول عنه إنه "بناء الحريات"، انشاه من ضلع "الأفلاق" مثلما ولد حزب التجمع الوطني "الأزدي" من الضلع الأوج لـ"الأفلاق" في متواليات تاريخية مصيرية لا تنبسط أموراً إلا بمثل هذه التوليفات معظمها لا يخرج من الأوامر والتعليمات والحسابات.

ماضيه الذي يلاحقه

الحراك يتذكر أن حكومة بن فليس هي التي حظرت المسيرات والتظاهرات بقانون يمنع ويعاقب أي تجمع، كان ذلك مخالفاً لكل الحقوق التي أقرتها الأمم، وهي الحقوق التي ناضل بنفسه من أجلها وتأسست من أجلها الرابطة الجزائرية لحقوق الإنسان التي كان بن فليس عضواً فيها.

جاء القانون بعد اشتداد المظاهرات التي أطلقتها "حركة العروش"، وهي حركة أسسها مواطنون ينتمون إلى منطقة القبائل خرجوا للمطالبة بحقوق اجتماعية ثم تحولت إلى جماعة ضاغطة رافضة للتعدلات الدستورية التي أقرها بوتفليقة لتمديد عهدها للرئاسة، وقامت بالزحف نحو العاصمة الجزائرية في تحد صارخ للسلطة آنذاك، وانتهت بسقوط ضحايا، مما حتم على حكومة بن فليس وضع قانون منعت بموجبه التظاهر، وبقي ساري المفعول إلى غاية أن تسرى في 22 فبراير تحت

ملا بين الهزائم، لم يستقر حتى كامين عام لحزب جبهة التحرير الوطني حيث أبعده عن رأس الحزب بعد انتخابات العام 2004 وخسر المعركة وسلم مفاتيح الحزب بمحض إرادته، كما يقول، بعد أن رأى بوابد الهيمنة والخضوع والتسلط تتسرب في مسامات الحزب، وعرف حينها أن القوى لن تتركه يخطو مرة أخرى نحو الحلم والطموح. لكنه عاود الكرة مرة أخرى وترشح سنة 2014 تلبية للنداءات التي كانت تأتيه من "ربوع الوطن"، فهو كما يقول كونه قاعدة لا بأس بها أصبح يعرف تطعاتها وأمالها، غير أنه هزم مرة أخرى، وكل مترشح لا يخطئ بالفوز في هذه المواعيد التي باللائمة على الإدارة والجهاز السياسي القائم آنذاك، وأصدر على إثرها كتاباً أبيض حول التزوير والآليات التي اعتمدت في خرق النتائج ونضخيمها لفائدة بوتفليقة. مرارة الهزائم قابلتها الإلحاحات المتكررة

الجزائريين الذين ما زالوا إلى اليوم يتظاهرون بسخط ودون تعب. نزل بن فليس في الساعات والأيام الأولى للحراك، ولكنه قوبل بالرفض وطرد من

القوي آنذاك في منظومة العسكر الجنرال محمد العمري، قائد أركان الجيش الشعبي الوطني، تلقى ضمانات واسعة وكافية ومهمة من طرف هذا الأخير والذي كان يمثل أضيق دائرة قرار في الدولة منها يؤخذ كل شيء وفيها تصب وتوزع وتراقب وتعطي وتمنح وتتصرف حسب الدواعي والدوافع والمصالح.

تلك الضمانات التي كانت مسطرة ودقيقة جرت معها الكثير من الأحزاب والشخصيات والإعلام الذي هلل لترشح بن فليس وسانده وقوى مركزه في المجتمع واقتنع الكل تقريباً بأنه لم يتبق لعهد بوتفليقة سوى أيام معدودات بل ساعات سريعة بل دقائق خاطفات، وينتهي إلى غير رجعة حاملاً معه الخطايا والزيابا والمناكب وعصابته كما توصف الآن.

ولكن كانت هناك يد أخرى مهيبة ومربية تلعب في هذه الدائرة المغلقة وعلى الحبلين كما يقال. عين سهرت منذ توليها المنصب الأخطر في الدولة على شد الحبل والترقب والتوجس وعدم المغامرة. كانت عين الجنرال توفيق المسجون حالياً بتهمة التآمر ضد الدولة والجيش، تسهر في بيتين؛ بيت الدائرة الضيقة للعسكر، وبيت الرئاسة، وتنتقل إلى هذه الأخيرة كل ما يتم التخطيط له ويطلب.

كان يعرف بحكم منصبه أن الرئيس بوتفليقة لا تغيب عنه مثل هذه الألاعيب مهما كانت سريتها ولو كانت في قعر قديم لعلم بها، وبين ليلة وضحاها، بين ساعات وساعات قلبت الدولة العميقة الآلة الضخمة للانتخابات التي كانت ستعطي لبن فليس الفوز وصيت في النهر الواسع للرئيس بوتفليقة، وبعد ثلاثة أشهر من فوز هذا الأخير أقال الجنرال العمري وبدأت آلة المتابع تشتغل ضده وخرج للعلن بعض ما قبل إنه فساد مرتبط به وبأولاده. وما زالت صورته وهو يجلس في الصفوف الأمامية لمبايعة بوتفليقة للعهدة الثالثة مبنوثة في التكتعير مخز عن الولاء والاعتذار.

مفاتيح ضائعة

ذاق بن فليس طعم الهزائم تلو الهزائم، لم يستقر حتى كامين عام لحزب جبهة التحرير الوطني حيث أبعده عن رأس الحزب بعد انتخابات العام 2004 وخسر المعركة وسلم مفاتيح الحزب بمحض إرادته، كما يقول، بعد أن رأى بوابد الهيمنة والخضوع والتسلط تتسرب في مسامات الحزب، وعرف حينها أن القوى لن تتركه يخطو مرة أخرى نحو الحلم والطموح.

لكنه عاود الكرة مرة أخرى وترشح سنة 2014 تلبية للنداءات التي كانت تأتيه من "ربوع الوطن"، فهو كما يقول كونه قاعدة لا بأس بها أصبح يعرف تطعاتها وأمالها، غير أنه هزم مرة أخرى، وكل مترشح لا يخطئ بالفوز في هذه المواعيد التي باللائمة على الإدارة والجهاز السياسي القائم آنذاك، وأصدر على إثرها كتاباً أبيض حول التزوير والآليات التي اعتمدت في خرق النتائج ونضخيمها لفائدة بوتفليقة. مرارة الهزائم قابلتها الإلحاحات المتكررة

أبو بكر زمال
كاتب جزائري

ما بين عامي 2004 و2019 ما يزال علي بن فليس يحلم بمكانه تحت شمس الحكم. يصرح دوماً أنه كان الفائز الحصري والاستثنائي في كل موعد رئاسي. خائنه الأقدار ولعبت وراء ظهره رغم أنه كان ابناً للنظام يعرفه كما يعرف بيته، تربى بين جنباته وفي أروقه، لم تكن تغيب عن عينيه أي مناورات أو تكتيكات يقودها العسكر والسياسة أو المنتفضون أو رجال المصالح وقوى الضغط.

وعندما رأى، في يوم ما، أنه لم يعد يطلع على ما وراء الأبواب والستائر، شق عصا الطاعة وخرج لا يلوي على شيء سوى على المواجهة، وتدارك الأخطاء، وتصحيح الدفة عليها تدور إليه وترحم شغفه بقيادة بلد متهاوى أصبح الشكل بين ليلة وضحاها، بعد أن طوى الحراك الأعناق، يقول إنه في خدمته بالنفس والتفيس والغالي.

طعم الهزائم تلو الهزائم يعرف بن فليس مذاقه جيداً، لم يستقر له الأمر، حتى كامين عام لحزب جبهة التحرير الوطني حيث أبعده عن رأس الحزب بعد انتخابات العام 2004 وخسر المعركة وسلم مفاتيح الحزب بمحض إرادته، كما يقول

تاريخاً من فليهما بن فليس منافسا عنيدا بعد أن أخرجوه من دوائر النظام، فلا أحد كان بإمكانه الاستقالة أو الانسحاب بمحض إرادته وهو ما كان معروفاً، كما يقول المنتهون لشؤون الحكم في الجزائر. هُزم على حصون وقلاع الحروب والصراعات التي كانت تدار من أجل خلود الرئيس عبدالعزيز بوتفليقة وعصبته في جنات الملك، توقيتاً عرفت فيهما الدولة التورات والتجاذبات والصراعات والتخمينات والشكوك والقليل والقال.

الرئاسة المستعصية

زمن الإصطاف والضرب تحت الحزام، السولات والطاعات والعصيان وديابات التمرد والتملص، وميلاد الحركات الرافضة الصامته والصاخبة لترشح بوتفليقة. الحسابات الخاطئة للكثير من الشخصيات والأحزاب والإعلاميين. والخبايا أيضاً مع البحث عن مخارج ومناوئ للاندفاع من عقيدة الخوف والسيطرة التي بسطها النظام منذ سنة 1999 على كل شيء.

كانت الرئاسة قاب قوسين أو أدنى من يد بن فليس. ترشح ضد بوتفليقة للعهدة الثانية بعد أن تلقى الأمر أو النصيحة أو الإشارة من طرف الرجل

